وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جـــامـــعـــة ديـــــالى
كُـلـيّة الـتـربـيـة للعلوم الإنسانية
قـسـم التاريخ – الـدراسـات الـعـليا

إفريقيا جنوب الصحراء من خلال مؤلفات المؤرخين المصريين في القرن التاسع الهجري

(القلقشندي (ت ٨٢١هـ) والمقريزي (ت ٨٤٥هـ) أنموذجاً)

أطروحة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه/ فلسفة في التاريخ الإسلامي

من الطالبة

وئام عاصم إسماعيل

بإشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد مطر خضير

١٤٤٠هـ ٢٠١٩م

الفصل الأوّل

جغرافية إفريقيا جنوب الصحراء

من خلال روايات القلقشندي (ت٨٢١ هـ)

والمقريزي (ت٨٤٥ هـ)

١. إفريقيا جنوب الصحراء (التسمية والمصطلح).

٢. ممالك إفريقيا جنوب الصحراء.

أ. بلاد البجة.

ب. بلاد النوبة.

ت. بلاد البرنو.

ج. بلاد مالي.

ح. مملكة الحبشة.

١. إفريقيا جنوب الصحراء (التسمية والمصطلح):

أطلق الجغرافيون والمؤرخون العرب على البلاد التي تقع جنوب الصحراء الكبرى مصطلح (بلاد السودان)، وأصل هذه التسمية مستوحى من لون البشرة، التي تميز سكان تلك الأماكن عن غيرهم(١).

فقد أورد ابن رسته (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) رواية في هذا الصدد تقول: "إنَّ السودان والحبشة يسكنون في بلاد تحاذيها البروج من بين مدار الحمل إلى السرطان، وأَنَّ الشمس في هبوطها وصعودها في تلك البروج تتوسط السّماء التي تسخن أهويتهم، وتحرقهم؛ ولهذا صارت ألوانهم سوداء، وشعورهم قططة، وأبدانهم يابسة، وأطباعهم حارة"(٢).

أَمّا القزويني (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م) فقد عرّف بلاد السودان بأَنَّها: "بلاد كبيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أَرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها بحر المحيط"(٣).

أَمّا أبو الفدا (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) فيحدد بلاد السودان بأَنَّها: "جهة الجنوب، وأَنَّها بلاد كثيرة الأجناس المختلفة من الحبش، والزنج، والنوبة، والتكرور، والزيلع، وغيرهم"(٤).

---

(١) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن سعيد المغربي (ت٦٧٣هـ/١٢٧٥م)، الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربيّ، المكتب التجاري للطباعة، (بيروت، ١٩٧٠م)، ص١٠.

(٢) أبو علي أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، (ليدن، ١٨٩٢م)، ص٩٩.

(٣) القزويني، زكريا بن مُحَمَّد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د.ت)، ص٢٤.

(٤) أبو الفدا، عماد الدِّين إسماعيل بن مُحَمَّد (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، تقويم البلدان، تحقيق: رينودماك، دار صادر، (باريس، ١٨٥٠م)، ص٢.

أمَّا ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، فإنَّهُ عندما يتحدث عن أمم السودان يقول: "... إنَّهم أصناف، وشعوب، وقبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج، والحبشة، والنوبة"[١].

وقد عرف القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) بلاد السودان بأَنَّها: "بلاد متسعة الأرجاء، رحبة الجوانب، حدّها من الغرب البحر المحيط[٢]، ومن الجنوب الخراب مِمَّا يلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم[٣] مِمَّا يلي بلاد اليمن، ومن الشمال البراري الممتدة بين الديار المصرية وأرض برقة[٤]، وبلاد البربر[٥]، ومن جنوبي المغرب إلى بحر المحيط"[٦].

وعليه، واعتمادًا على ما ورد من نصوص جغرافية يمكننا القول: إنَّ إفريقيا جنوب الصحراء هي المنطقة الممتدة من المحيط الأطلسي غربًا إلى البحر الأحمر شرقًا، وأَنَّ اسم السودان هو ما يطلق على تلك البلاد، وما تشتمله من قبائل، وهو وصف الأرض الإفريقية التي تقع إلى جنوب الصحراء الكبرى.

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن مُحَمَّد (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠١)، ص٢٦٤.

(٢) البحر المحيط: المحيط الأطلسي. العمري، شهاب الدِّين أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، تحقيق: أحمد عبّاس وآخرون، نشر المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ٢٠٠٢م)، ١٢٠/٤.

(٣) بحر القلزم: البحر الأحمر، وسمي ببحر القلزم؛ نسبة إلى اسم مدينة على ساحله. ياقوت، شهاب الدِّين أبو عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، ١٩٧٧م)، ٣٨٧/٤؛ البكري، سراج الدِّين أبو حفص عمر بن المظفر (ت٨٥٢هـ/١٢٩٩م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: نور مُحَمَّد زناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، (القاهرة، ٢٠٠٨م)، ٢٢٩/١.

(٤) برقة: اسم أطلقه العرب على المدينة التي بينت على أطلالها مدينة الجبل الأخضر. ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٤٦.

(٥) بلاد البربر: وهي الجبال الشمالية لإفريقية، يسكنها الأمازيغ، وللبربر لغة خاصة، دخلوا الإسلام، وشاركوا في فتح الأندلس بقيادة أحد أبناءها وهو طارق بين زياد. ياقوت، معجم البلدان، ٤٤٥/٤.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٣/٥.

ويمكن تقسيم بلاد السودان على ثلاثة أقسام على النحو الآتي:

أ. **السودان الشرقي:** ويمتد من البحر الأحمر شرقًا حتّى حدود إقليم دارفور[١] غربًا، وتضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيل، فضلًا عن الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد أطلق عليه العرب بلاد الزنج ما قبل القرن الرابع الهجريّ حتّى السادس الهجريّ[٢]، إلَّا أَنَّ كلمة السودان كانت تشمله أيضًا[٣].

ب. **السودان الأوسط:** ويشمل الأماكن المحيطة ببحيرة تشاد بين خطي عرض (٢٢) شمالًا، و(١٠) جنوبًا، وبين خط طول (١٠) شرقًا، و(١٥) غربًا[٤]، وتحده إمارة الهوسا[٥] من الغرب وإقليم دارفور من الشرق[٦]، والصحراء الكبرى شمالًا،

---

(١) إقليم دارفور: وهو أكبر أقاليم السودان الحالي، تقع حدوده أغلبية مع ليبيا، وتشاد، وإفريقيا الوسطى، ويمتد الإقليم من الصحراء الكبرى من شمالها إلى السفانا في الجنوب. الباقر العفيف، ما وراء دارفور، ترجمة: مُحَمَّد سليمان، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ص٤.

(٢) بلاد الزنج: يقصد بالزنوج مجموعة القبائل التي كانت تعيش بمنطقة السودان الغربي تميزًا عن العناصر الأخرى التي هاجرت إلى تلك المنطقة من البربر والعرب. باري وكريديه، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الرشاد الإسلامية، (بيروت، ٢٠٠٦م) ص١٢٣.

(٣) الأمين، عوض الله، العلاقات بين المغرب والسودان في عصر السلطتين الإسلاميتين مالي وصنغى، دار المجمع العلميّ، (جدة، ١٩٧٩م)، ص٤١.

(٤) لانجى، ديرك، ممالك تشاد وشعوبها، تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٦٨م، ٢٤٧/٤.

(٥) إمارة الهوسا: تقع بلاد الهوسا في الأماكن المحصورة بين الصحراء الكبرى شمالًا، وبين الربوع الساحلية لخليج غانا جنوبًا، وبين يرنو في الشرق ونهر النيجر في الغرب، وبلاد الهوسا سبع أقاليم أهمها: إقليم كنو الإسلامية وإقليم كاشنة. مراد، حسين، دولة كانم الإسلامية تطورها السياسي والحضاري حتّى نهاية القرن ٩هـ/١٥م، جامعة القاهرة، ١٩٧٧م، ص٥.

(٦) زياديه، عبدالقادر، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع (الجزائر، ١٩٧٠م)، ص١٥.

والغابات الاستوائية جنوبًا[١]، وقامت في هذا القسم من بلاد السودان ممالك عِدَّة من أبرزها: مملكة كانم، وسلطنة البرنو[٢].

ت. **السودان الغربي:** ويشمل الأراضي الواقعة بين حوض نهر السنغال، ونهر جمبيا، والمجرى الأعلى لنهر الفولتا، والحوضين الأعلى والأوسط لنهر النيجر[٣]؛ مِمَّا يساعد على وجود الزراعة وحياة الاستقرار[٤]، وتكاد تتطابق السودان الغربي مع حدود دولة مالي في عهد ازدهارها واتساعها؛ إذ قامت هذه الدولة في هذا القسم[٥].

٢. ممالك إفريقيا جنوب الصحراء:

يذكر القلقشندي (ت٨٢١هـ) في معرض حديثه عن السودان، التي بيناها بأَنَّها البقعة الجغرافية التي تعرف بإفريقيا جنوب الصحراء، وتمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، ذكر أَنَّ تلك البلاد تشتمل على ست ممالك مشهورة، وهي: "بلاد البجا، وبلاد النوبة، وبلاد برنو، وبلاد كانم، وبلاد مالي، ومملكة الحبشة"[٦]، وسنتناولها على النحو الآتي:

---

(١) الأمين عوض الله، العلاقات بين المغرب والسودان، ص٤١.

(٢) العمري، شهاب الدِّين أبو العبّاس أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، التعريف بالمصطلح الشَّريف، تحقيق: مُحَمَّد حسين شمس الدِّين، دار الكتب العلميّة، (بيروت، ١٩٧٧م)، ص٤٦-٤٧.

(٣) نهر النيجر: هو نهر عظيم يمر بمالي ومنابعه في شمال سيراليون وليبريا، ويصب في المحيط الأطلسي. ابن بطوطة، مُحَمَّد بن عبدالله بن إبراهيم الطنجي (ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ٥٢٨/٢.

(٤) مُحَمَّد عبدالله النقيرة، التأثير الإسلامي في غرب إفريقيا، مطابع الفرزدق التجارية، (الرياض، ١٩٨٨م)، ص١٧.

(٥) العمري، التعريف بالمصطلح الشَّريف، ص٣٧.

(٦) صبح الأعشى، ٢٦٣/٥.

أ. بلاد البجا:

أوّلًا: التسمية:

البجة: بضم الباء الموحدة، وفتح الجيم، وألف في الآخر(١)، أو بضم الباء، وفتح الجيم وإضافة تاء مربوطة (البُجة) (٢).

وقد وردت أوّل إشارة إلى اسم البجة في المصادر العربيّة بعد ظهور الإسلام عند الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م) باسم بجاوة(٣)، ووردت عند بعض المؤرخين بضم الباء، وفتح الجيم، وإضافة ألف زائدة (البُجَا) (٤)، ووردت عند آخرين(٥): بضم الباء، وفتح الجيم، وألف وتاء مربوطة (البُجاة)، ولعل اللفظ هو لفظ (البُجة) بضم الباء، وفتح الجيم(٦)، ثمَّ تحولت الضم إلى كسر فيما بعد(٧).

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أَنَّ المؤرخين العرب لم يكونوا أوّل من أطلق اسم البجة على سكان الصحراء الشرقية وما يليها جنوبًا على مدى العصور، من ذلك مثلًا أَنَّ بعضهم ظنَّ أَنَّ الاسم مصدر لفظ بوكا (Buka) أو (Bukak)، الذي جاء في

---

(١) المقريزي، الخطط، ١٩٤/١.

(٢) المقريزي، الخطط، ٣٥٨/١.

(٣) أبو عبدالله مُحَمَّد بن عمر (ت٢٠٧هـ/٨٢٣م)، فتوح الشام، (بيروت، د.ت)، ٥٥/٢.

(٤) ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن سعيد المغربي (ت٦٧٣هـ/١٢٧٥م)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قرنيط خنيس، (تطوان، ١٩٥٨م)، ص٥٠؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٢٠.

(٥) ابن جبير، أبو الحسن مُحَمَّد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، المعروف برحلة ابن جبير، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، ١٩٠٨م)، ص٤.

(٦) رمضان، عبدالعظيم، الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٢٩٣.

(٧) بصيلي، الشاطر، تاريخ وحضارات السودان الوسطى، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ص١٤٥.

النصوص المصرية القديمة، التي ترجع إلى عصر الملك تحتمس الثالث[١]، وبوكا: هو اسم قبيلة من القبائل الجنوبية التي اخضعها المصريون لسلطانهم آنذاك، ووردت في إحدى النقوش الأكسومية[٢]، التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي باسم بوجايتاي (Bugaitae) [٣].

وعلى أية حال ومهما وردت من أقوال فقد اتفق عدد من الباحثين على أَنَّ اسم البجة قديم جدًا؛ لأَنَّ شعب البجة كانَ معروفًا لدى المصريين القدماء تحت اسم (مزا)، أو (مجا)، أو (ميجو)، وللكلمة هجاءات مختلفة، ولكنها متقاربة[٤]، وهي تعني في الفرعونية: الحارس أو المحارب[٥]؛ معتمدين في ذلك على عدد من الأدلة التي وردت في النقوش الفرعونية، التي تشير إلى استعانة الفراعنة بقبائل جنوبية تحت اسم (مجا) تتطابق صفاتهم ومواطنهم مع قبائل البجة الحالية[٦].

---

(١) تحتمس الثالث: هو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة من الفراعنة، الذي تولى الحكم في مصر في المُدّة ما بين (١٤٧٨–١٤٢٥ ق.م)، اشتهر عصره بالاضطرابات والانقلابات في أطراف الأقاليم المصرية، ولاسِيَّمَا في بلاد النوبة؛ مِمَّا اضطره للقيام بسبعة عشر حملة عسكرية هناك، فضلًا عن هذا فقد امتاز عصره بعددٍ من الإنشاءات العمرانية، أهمها: تغيير واجهة معبد (أمون رع) بالكرنك. نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاني، (القاهرة، ١٩٩٣م)، ص٢٧١.

(٢) النقوش الأكسومية: وهي آثار خلفتها دولة كانت قائمة قديمًا في شمال شرق إثيوبيا، سيطرت على منطقة الساحل الإفريقي المقابل لليمن، وعرفت هذه الدولة بمملكة أكسوم، التي يظن أَنَّها قامت على يد العرب الجنوبيين. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة الساقي، (بغداد، ١٩٩٣م)، ٤٥١/٣.

(٣) سعيد، مصطفى، البجة والعرب في العصور الوسطى، مجلة كليّة الآداب، جامعة القاهرة، مجلد٢١، ج٢، ديسمبر ١٩٥٩م، ص٤.

(٤) عوض، مُحَمَّد، السودان الشمالي سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٥١م)، ص٣٢.

(٥) ماهر، سعاد، محافظات الجمهورية العربيّة المتحدة في العصور الإسلامية، مجلة كليّة الآداب، جامعة القاهرة، م٢١، العدد الأَوّل، ١٩٥٩م، ص١٧٩.

(٦) حسن، سليم، مصر القديمة، (القاهرة، ٢٠٠٠م)، ٥٢/١.

ثانيًا: جغرافية بلاد البجة:

تقع البجة في الصحراء الشرقية جنوب الصعيد[١] مِمَّا يلي الشرق فيما بين بحر القلزم (الأحمر) وبين نهر النيل على مقربة من الديار المصرية[٢] إلى شمال بلاد النوبة والحبشة[٣]، وبين البحر الأحمر شرقًا ونيل مصر والسودان غربًا[٤]، وفي صحراء طولها أكثر من ألف فرسخ[٥]، وعرضها ثلثمائة[٦]، وأَنَّ بداية طول هذه البلاد الشاسعة، تأتي من الشمال من قرية بخربة معدن الزمرد[٧] في صحراء القوص[٨]، وبين ذلك الموضع وبين قوص مسافة ثلاث مراحل[٩]، ويمتد ذلك الطول جنوبًا حتّى ينتهي بالمنحدرات

---

(١) الصعيد: هو مرتفع من الأرض وأول من أطلق على هذا الجزء من مصر الصعيد هم العرب عندما فتحوا مصر، ويقال أيضًا للصعيد الوجه القبلي، أو الأرض التي ليس بها سباخ ولا رمال، بل كُلّها أَرض طيبة وأول بلاده الجيزة وآخره أسوان. العمري، التعريف بالمصطلح الشَّريف، ص١٧٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٣/٥.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، ٣٣٩/١؛ ابن عبدالحق، رضي الدِّين بن عبدالحق البغدادي (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي مُحَمَّد البجاوي، دار صادر، (بيروت، ١٩٥٤م)، ١٦٣/١.

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: مُحَمَّد محي الدِّين عبدالحميد، (بيروت، ١٩٨٣م)، ١٨/١.

(٥) الفرسخ: ما يقارب ثلاثة أميال، والميل مقداره (٤٠٠٠) أربعة آلاف ذراع تقريبًا. مُحَمَّد، علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ط٢، القدس للنشر والتوزيع، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ص٥٤.

(٦) ناصر خسرو، سفرنامة، تحقيق: يحيى الخشاب، (القاهرة، ١٩٤٥)، ص١٣٤.

(٧) خربة معدن الزمرد: وهي تعرف بضربة الملك، وهي موضع يستخرج منهُ الزمرد، وهو على ست مراحل من البجة. ياقوت، معجم البلدان، ٣٥٥/٢.

(٨) قوص: بالضم ثمَّ السكون وهاء مهملة، وهي من مدن مصر، وهي مدينة كبيرة وعظيمة، بينها وبين القاهرة اثنا عشر يومًا، أهلها أرباب ثروة واسعة، وهي محطة تجارية للتجار القادمين من عدن. ياقوت، معجم البلدان، ٤١٣/٤.

(٩) المقريزي، الخطط، ٣٥٨/١. والمرحلة: هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالمسير المعتاد على الدابة، وجمع مرحلة: مراحل، ومقدار المرحلة (٢٤) ميلًا. مُحَمَّد، المكاييل والموازين الشرعية، ص٥٦.

الشمالية لهضبة الحبشة؛ لذلك نجد تلك البلاد جاورت أَرض الحبشة من الشمال[١]، ويأتي عرضها من ساحل البحر الأحمر شرقًا ويمتد غربًا إلى جبال منيعة تفصل بينها وبين أَرض النوبة[٢]، وتلك الأوطان لا تمثل موطن البجة فحسب، بل مثلت الموطن الأصلي لهم؛ وذلك منذ زمن موغل في القدم، وأَنَّ تلك القبائل استوطنت منذ عهد الأسرة السادسة الفرعونية (٦٤٦٠-٢٢٠٠ ق.م) في إقليم يعرف بإقليم (مجا)، أو (مزا)[٣]، وعرف أهله القائمين عليه باسم (أونوت)، ويعني: رامي القوس، ولكن تلك الأوطان ضاقت عَمَّا كانت عليه في العصور اللاحقة، وأخذت تالف من الأراضي الواقعة بين البحر الأحمر شرقًا ونهر عطبرة[٤]، ثمَّ النيل الأكبر غربًا، وتمتد من المنحدرات الشمالية لهضبة الحبشة في الجنوب إلى نهاية أسوان في الشمال[٥]، وتحديدًا يحد ذلك الإقليم من الشمال خط وهمي يبدأ من منطقة عيذاب[٦] الواقعة على البحر الأحمر في الشرق، وينتهي غربًا ببلدة العلاقي الواقعة على نهر النيل شمال مدينة وادي حلفا، ويحده شرقًا حوض البحر الأحمر، أَمّا في الجنوب فيحدّه خط وهمي يمر من

---

(١) البكري، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤٨.

(٢) ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن مُحَمَّد بن عثمان الهمداني (ت٣٦٥هـ/٩٧٤م)، البلدان، تحقيق: يوسف هادي، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٩٦م)، ٧٨/١.

(٣) حسن، مصر القديمة، ص٨٢.

(٤) نهر عطبرة: ويعرف أيضًا: تبرا، وهو أحد روافد الحبشة التي تصب في نهر النيل. الصياد، مُحَمَّد محمود وآخرون، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص٧٤.

(٥) مُحَمَّد عوض، الشعوب والسلالات الإفريقية، دار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٦٥م)، ص٤٦.

(٦) عيذاب: وهي أكثر بلاد البجة أهمية، وأعلاها شهرة؛ لأَنَّها حظيت بميناء كانَ ذو أَثر كبير ومهم على المستوى المحلي، والإقليمي، والعالمي، وكان ذلك الإقليم يستعمل للأغراض الحربية في بداية الأمر، وما لبث أَنْ أصبح يستعمل للأغراض التجارية، وأصبح أعظم ميناء تجاري في تلك البلاد، إلَّا أَنَّ عيذاب وميناءها أصبحت خرابًا ومكانًا مندثرًا. الشامي، عبدالعال عبدالمنعم، محاضرات في الجغرافية التاريخية، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ص٢٨.

ساحل البحر الأحمر جنوبًا، وينتهي غربًا بنهر عطبرة في أرض الشمال حيث بلدة القضارف جنوب السودان(١).

ومن الجدير بالذكر أَنَّ هذا الإقليم اتصف بصفات جغرافية متنوعة تمثلت بالتضاريس وموارد الماء، وما يترتب على ذلك من تنوع النبات والحيوان، ولعل اختلاف التضاريس هو أَكبر عامل طبيعي يؤثر في الظواهر الطبيعية الأخرى، وأكبر مظهر لاختلاف التضاريس هو وجود تلك السلاسل الجبلية الممتدة من الجنوب إِلى الشمال في محاذاة البحر الأحمر في شكل مرتفعات متصلة الحلقات فيما عدا مكان واحد يشقه خور بركة(٢).

الذي يلحظ أَنَّ تلك المرتفعات المحاذية للبحر الأحمر أَنَّها تلتصق به أَحيانًا؛ حتّى لا يكاد يفصلها عنه شيء، وتبتعد عنه أَحيانًا؛ فتترك بينها وبينه سهلًا ساحليًا ضيقًا يراوح عرضه ما بين (٢٠-٣٠ كم)، يضيق في القسم الأعظم من الجهات الداخلية في السودان والأكثر اتساعًا في الجزء الداخلي في حدود مصر، كذلك نجد أَنَّها متموجة ليست متساوية في الارتفاع والوعورة؛ فترتفع في بعض الجهات لتزيد عن (١٥٠٠م) لتقل في الأخرى عن (٥٠٠م)، أَمّا من ناحية الانحدار والوعورة فيكون فجائي من جهة الشرق، وتدريجي من جهة الغرب، تتخلله بعض الأودية والسهول(٣).

وَمِمَّا لاشكَّ فيه فقد أثرت تلك الجبال واختلاف مظاهرها في تنوع موارد المياه وتوزيعها، ولاسِيَّمَا في مصادرها الأولى، ألا وهو سقوط الأمطار؛ إذ إِنَّها تكون غزيرة في مكان، وتقل في مكان أُخرى، فضلًا عن مواسم سقوطها؛ فمنها ما هو صيفي،

---

(١) الشاطر، تاريخ وحضارات السودان، ص١٤٥.

(٢) خور بركة: هو أحد الأنهار الموسمية في بلاد البجة، وينبع من شمال الحبشة، وينتهي في السهول الساحلية السودانية. الصياد، السودان، ص٤٣.

(٣) مُحَمَّد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ص٢٣.

ومنها ما هو شتوي؛ فالمرتفعات المنحدرة غربًا وما يليها في ذلك الاتجاه أمطارها صيفية والمرتفعات الشرقية والساحلية؛ فأمطارها شتوية[١].

ثالثًا: أهم مدن بلاد البجة:

١. سواكن:

بفتح السن المهملة والواو، وكسر الكاف والنون في الآخر[٢]، وسواكن: اسم مصري قديم تعرف بـ(شواخن)، وهي إحدى الأقاليم النيلية الحبشية، وبمرور الوقت تحولت الشين إلى سين، و(خن) إلى (كن)؛ لخلو أبجدية اللّغة البجاوية من حرف الخاء، وقيل: إنَّ اسمها اشتق من اسم (سجون) جمع سجن؛ إذ كانَ موضعها يستعمل سجن يضم الخارجين على القانون والمجرمين[٣].

وقد ورد اسم سواكن أوّل مرة من خلال القرن (٢هـ/ ٨م) كانَ ذلك عندما مَرَّ بها أفراد الأسرة الأموية الهاربين من العباسيين[٤].

وتعدّ مدينة سواكن قاعدة بلاد البجة[٥]، وأَنَّها تُعدُّ مرفأً مهمًا على ساحل بحر القلزم، ومقدمًا للسفن التي تأتي من جدة[٦].

---

(١) مُحَمَّد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ص٢٤-٢٥.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٣) الشامي، صلاح الدِّين، الموانئ السودانية دراسة جغرافية تاريخية، مطبعة جامعة، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ص١٠١.

(٤) المقريزي، الخطط، ٣٥٨/١.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٦) الحميري، أبو عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت٩٠٠هـ/١٤٩٥هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، ط٢، مؤسسة الناصر للثقافة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ٧٥١/٢.

تقع سواكن في الطرف الغربي لبحر القلزم (الأحمر) [١] على الساحل[٢] جنوب مدينة عيذاب، وتبلغ المسافة بينهما سبع مراحل[٣]، وسواكن مدينة عامرة فيها متاجر، يستخرج البجيون اللؤلؤ الجيد من سواحلها، وتسير منها السفن إلى جزيرة باضع[٤]، وأهلها مسلمون[٥]، ويسكنها التجار[٦]، ازدهرت تلك المدينة ولمعت شهرتها في القرن الثامن الهجريّ – الرابع عشر الميلادي – وذاع صيتها؛ حتّى أصبح اسمها يذكر كأحد موانئ البجة المهمة[٧]، وتميزت بنشاطها التجاري الكبير؛ حتّى غدت في تلك المُدّة من أهم المراكز التجارية لدويلات النوبة النصرانية؛ حتّى أصبحت بمنزلة النافذة الوحيدة التي تطل منها على التجارة العالمية[٨]، وقد أصبحت سواكن محط أنظار الطامعين؛ فقد عمل المماليك بمصر على محاولة إحكام السيطرة عليها، وتمكنوا في النهاية من ذلك، ورُبَّما كانَ الدافع وراء ذلك وضع حَدّ للتهديدات المباشرة وغير المباشرة التي كانَ يتعرض لها التجار من لدن النوبيين في البحر الأحمر[٩].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٦/٣.

(٣) ابن سعيد، بسط الأرض، ص٥١.

(٤) باضع: وهي جزيرة في بحر اليمن على ساحل البجاة والحبشة، أهلها مسلمون، وباضع اليوم خراب. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٣٢٤/١؛ الحميري، الروض المعطار، ٣٣٢/١.

(٥) الحميري، الروض المعطار، ٣٣٢/١.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٧) المقريزي، الخطط، ٣٦٤/١.

(٨) ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٦/٣.

(٩) الشامي، الموانئ السودانية، ص١٠٩.

٢. علّاقي:

بفتح العين المهملة واللام المشددة، ثمَّ ألف وقاف مكسورة، ثمَّ ياء مثناة من تحت آخر[١]، وهي مدينة عظيمة[٢]، تقع في الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة، طولها ثماني وخمسون درجة، وعرضها ست وعشرون درجة[٣]، تقع قرب بحر القلزم، وبينها وبين النيل خمس عشرة مرحلة، وأقرب العمارة إليها مدينة أسوان[٤]، بها خلق كثير من العرب والسودان، وفيها أسواق.

يشربون من آبار تحفر في وادي العلاقي[٥]، وهو وادٍ عظيم في صحراء مصر الشرقية، ينحدر من جبال البحر الأحمر من جهة الغرب ليصل إلى نهر النيل، يبلغ طول مجراه (٣٥٠ كم) تقريبًا، ويقدر عرضه بنحو (٥٠ م) تقريبًا.

والعلاقي مدينة من أهم المراكز لاستخراج الذهب، وكانت علاقي أهم مركز يربط بين عِدَّة طرق تجارية في البلاد في أثناء العصور الوسطى[٦]، وفيها معدن التبر يقوم باستخراجها عبيد السودان عن طريق الحفر، وبكميات كبيرة، والزرنيخ الأصفر ثمَّ يسبك[٧]، ومن علاقي يدخل إلى بلاد البجة[٨].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ/٩٨٧م)، البلدان، دار الكتب العلميّة، (بيروت، ١٩٨٨م)، ١٧٢/١.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

(٤) المقريزي، الخطط، ٣٦٤/١.

(٥) اليعقوبي، البلدان، ١٧٢/١.

(٦) الشامي، محاضرات في الجغرافية التاريخية، ص١٢٣.

(٧) اليعقوبي، البلدان، ١٧٣/١.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥.

٣. عيذاب:

وهي بلدة صغيرة تقع على ضفة بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقدّم من عدن إلى الصعيد(١)، وهي تقابل مكة المكرمة وجدة على ساحل البحر الأحمر من الجهة الغربية(٢).

وعيذاب مدينة حسنة، ومجمع للتجار برًا وبحرًا، وأهلها يتعاملون بالدراهم عددًا، ولا يعرفون الوزن، يحكمها من لدن البجة، ووالي من لدن سلطان مصر، يقسمان جبايتهما على نصفين، وعلى عامل مصر القيام بطلب الرزق، وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة(٣).

وقد اختلف في تبعية عيذاب؛ فمنهم من عدّها من أَرض مصر؛ بوصفها جزءًا منها، ومنهم من جعلها من بلاد البجة، وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة(٤).

وعيذاب مدينة غير مسورة، وكانت من أعظم مراسي الدُّنيا؛ بسبب أَنَّ مراكز الهند واليمن تحط فيها، وتقلع منها مراكب الحجاج الصادرة والواردة(٥).

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ١/١٧١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ، ١/٧٩.

(٣) البكري، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص٤١.

(٤) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٢١.

(٥) المقريزي، الخطط، ١/٥٥٣.

ب بلاد النوبة:

أوّلًا: التسمية:

إنَّ مصدر تسمية بلاد النوبة بهذا الاسم يرجع إلى جدهم نوبي بن قفط بن معد بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام[١]، وأرجع ابن خلدون التسمية إلى أَنَّ النوبيين ولد نوابه أو نوي بن كوش بن كنعان بن حام[٢]، واجتهد آخرون بقولهم إنَّ كلمة نوبة انحدرت من الكلمة القبطية (notpt) وهي تعني (يظفر)؛ أي الشعب ذو الشعر المظفر، أو الشعب ذو الشعر المجعد[٣]، وهناك رأي آخر يرى أَنَّ مصدر التسمية يعود إلى كلمة (نوب)، وتعني في اللّغة النوبية الفكر؛ أي تخليص المادة من الشوائب وتنعيمها، ويعني ذلك استناداً إلى هذا الرأي التخلص من الرذائل والأعمال الإجرامية[٤].

وقد مَرَّ لفظ النوبة بعدّة مراحل تاريخية:

١. نب[٥]، نوب[٦]، في عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١-١٧٨٣ ق.م).

٢. نباتا[٧]، في عهد الأسرة الخامسة عشرة (٧١٥-٦٦٣ ق.م).

٣. نوباتا، نوباديا[٨]، نحو عام (٥٣٠م).

---

(١) ينظر: المقريزي، الخطط، ٣٥٤/١؛ وشيخ الربوة الدمشقي، شمس الدِّين أبي عبدالله مُحَمَّد بن أبي طالب (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، (بطرسبورغ، ١٨٦٥م)، ص٢٨٦.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ١٤/٢.

(٣) جمل، شوقي، تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ٨/١.

(٤) ناصر، مُحَمَّد رشيد، لغة آدم – عطاء أبدي لبني آدم، (بيروت، ١٩٩٥م)، ص١٧.

(٥) فانتيتني، تاريخ المسيحية في ممالك النوبة القديمة والسودان الحديث، (الخرطوم، ١٩٧٨م)، ص٢٧.

(٦) مسعد، مصطفى مُحَمَّد، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى بحث في تاريخ السودان وحضارته حتّى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، الهيئة المصرية للكتاب، (القاهرة، ٢٠١١م)، ص٢٢.

(٧) حسن، مصر القديمة، ٤٧٤/١.

(٨) الجمل، تاريخ سودان وادي النيل، ص٢٠٢.

٤. النوبة[١]، نحو عام (٢١هـ/٦٥٢م).

ومِمَّا سبق يتضح أَنَّ اسم النوبة مَرَّ بعدّة مراحل حتّى وصل في النهاية إلى صيغته الحالية، والآن لم يبقَ من اسم النوبة في تلك البلاد غير أَرض المرتفعات التي تقع في الجنوب من كردفان[٢]، التي تعرف الآن باسم جبال النوبا[٣].

ثانيًا: جغرافية بلاد النوبة:

هي بلاد واسعة تقع جنوب مصر على ضفتي نهر النيل حتّى أوسط بلاد السودان[٤].

ويبدو هذا الوصف الجغرافي، ولاسِيَّمَا من جهة الشمال، وهذا الحَدّ الأهم الذي أشار إليه كُلّ من الاصطخري (ت٣٤٦هـ)[٥]، والمسعودي (ت٣٤٦هـ)[٦]، وأبو الفداء

---

(١) المقريزي، الخطط، ٣٥٤/١.

(٢) كردفان: وهو إقليم في وسط السودان، وكردفان اسم نوبي مشتق من كلمة (كلدوفان)، التي تعني أَرض الرجال. شقير، نعوم، جغرافية وتاريخ السودان، دار عزت للنشر والتوزيع، (بيروت، ١٩٦٧م) ص٧٦.

(٣) شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ص٦١.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٤/٥-٢٦٥؛ وينظر: المقريزي، الخطط، ٣٥٢/١؛ اليعقوبي، البلدان، ١٩١/١؛ الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّد الفارسيّ (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م)، المسالك والممالك، تحقيق: مُحَمَّد جابر عبدالعال، (القاهرة، ١٩٦١م)، ص١١؛ المسعودي، مروج الذهب، ١٤/٢؛ ابن حوقل، أبو قاسم بن حوقل النصيبي (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٩٢م)، ٥٦/١؛ ياقوت، معجم البلدان، ٢٦/٥؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٤؛ أبو الفدا، عماد الدِّين إسماعيل بن مُحَمَّد بن عمر (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م)، المختصر في أخبار البشر، دار المعارف للطباعة والنشر، (بيروت، د.ت)، ٩٥/١-٩٦؛ البكري، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٨٨/٧.

(٥) المسالك والممالك، ص١١.

(٦) مروج الذهب، ١٤٧/٢.

(ت٧٣٢هـ) [١] من أَنَّ بلاد النوبة تبدأ عند نهاية أَرض مصر، وأَنَّهُ لا توجد حدود فاصلة بين البلدين، بل إنَّهما يتصلان عند أسوان المصرية وبلدة مريس[٢] النوبية[٣]؛ ولكن اليعقوبي (ت٢٩٢هـ)[٤]، والقلقشندي (ت٨٢١هـ)[٥] ذهبا إلى غير ذلك؛ إذ يريان أَنَّ بين البلدين مسافة فاصلة من البراري الممتدة.

واختلف فيها؛ فمن ذكر مسافتها بأربعة فراسخ[٦]، وذكرها بخمسة أميال[٧]، أَمّا المقريزي فقد حددها بمسافة ميل واحد، ويبدو أَنَّ ما ذكره المقريزي هو الأقرب للواقع؛ بدلالة ما ذكره المؤرخون العرب من قربها من مصر.

أَمّا من ناحية الجنوب فإنَّ بلاد النوبة تتصل بالحبشة عند بلدة تسمى طبلي[٨]، واستنادًا إلى هذا فإنَّ بلاد النوبة هي أوّل بلاد الحبشة.

أَمّا من ناحية الغرب فقد توسع القلقشندي وجعله يمتد مدة أَرض برقة والبربر إلى البحر الأحمر[٩].

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٩٦/١.

(٢) المريس: بلدة تعني الجنوب في اللّغة القبطية، وإليها تنسب الرياح المريسية، وهي رياح جنوبية باردة تهب على مصر في فصل الشتاء، وأَنَّها إقليم يمتد من الشلال الأَوّل إلى الثاني، وعاصمتها مدينة بجراش. ينظر: المقريزي، الخطط، ٣٥٢/١.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ٥٨/١.

(٤) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٩٢هـ/٨٩٧م)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت، ١٩٦٠م)، ١٩١/١.

(٥) صبح الأعشى، ٢٦٥/٥.

(٦) ناصر خسرو، سفر نامة، ص١٣٢.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ٣٠٩/٥.

(٨) طبلي: بلدة تمثل الحَدّ الفاصل بين السودان الشمالي والحبشة. شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ٨٥/١.

(٩) الخطط، ٣٥٣/١.

ويبدو أَنَّ هذا التحديد لجهة الغرب بعيدًا عن الواقع، ولاسِيَّمَا أَنَّ القلقشندي جعل الحَدّ الغربي حدًا جنوبيًا.

أَمّا من جهة الشرق فتحد بلاد النوبة البجة[١]؛ ولكن القلقشندي عَدَّ بلاد البجة جزءًا من بلاد النوبة، عندما ذهب إلى الحَدّ الشرقي لبلاد النوبة وهو البحر الأحمر[٢]، ويبدو أَنَّ الاختلافات الحاصلة في تحديد الحدود يرجع إلى كثرة انحناءات النيل في بلاد النوبة[٣]، التي تجعل من يتبعها سيرًا على الأقدام كفيلًا بظهور مثل هذه الالتباسات والاختلافات بين الجغرافيين والمؤرخين.

وقسّمَ الجغرافيون بلاد النوبة على ثلاثة أقسام، وهي: وادي النوبة العليا، ووادي النوبة الوسطى، ووادي النوبة السفلى[٤]، أَمّا وادي النوبة العليا فيمتد من نقطة التقاء النيلين الأبيض[٥] والأزرق[٦] إلى دنقلة[٧].

وتبتعد حافة الوادي أَحيانًا قليلة؛ مِمَّا يجعله متسعًا، وتصبح لَهُ صفة الحوض التي تغمر بعض أجزائه أيام الفيضان، ويتمثل ذلك الجزء الذي يقع فيما وراء شندي[٨]،

---

(١) المقريزي، الخطط، ٣٥٤/١؛ وينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٠؛ ياقوت، معجم البلدان، ٣٠٩/٥.

(٢) صبح الأعشى، ٢٦٥/٥.

(٣) مُحَمَّد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ص٢٨٤.

(٤) مُحَمَّد عوض، السودان الشمالي سكانه وقبائله، ص٢٨٥.

(٥) النيل الأبيض: يقع في السودان، وهو أحد روافد نهر النيل. ينظر: مُحَمَّد الصياد، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، ص٦٥.

(٦) النيل الأزرق: يقع في السودان، ويعدّ أهم روافد نهر النيل؛ فهو المسؤول عن (٧٠%) من مياه الفيضان. الصياد، السودان دراسة في الوضع الطبيعي والكيان البشري والبناء الاقتصادي، ص٦٦.

(٧) دنقلة: عاصمة مملكة مقرة النوبية. المقريزي، الإلمام، ص١٠٣.

(٨) شندي: هي إحدى مدن البربر، تبعد عن الخرطوم نحو (١٠٤) ميلًا، وكانت مركز مملكة جعلين في عهد مملكة سنار، وكانت من أهم المراكز التجارية في السودان. شقير، جغرافية وتاريخ السودان، ١٠٦/٢.

وكذلك الجزء الذي يمتد إلى وراء الجانب الأيسر من النهر الذي يتسع فيه الوادي على أحد الجانبين مركز تجمع السكان، الذين تساعدهم البيئة الطبيعية على مباشرة الزراعة، معتمدين على مياه النهر(١).

أَمّا أحوال المناخ في النوبة العليا من موقع الإقليم فهو جاف صحراوي تتضاءل فيه كميات الأمطار النوبية إلى حَدّ كبير، وتتساقط تلك الكمية المحدودة في أشهر الصيف، وهي أشهر ترتفع فيها الحرارة بشكل ملحوظ، وتسود فيها رياح جنوبية ساخنة، وتلك الكميات المحدودة من المطر لا تؤثر في حياة السكان ونشاطهم إلَّا في حدود ضيقة؛ ولكنها مع ذلك تتجمع في بطون الأودية الجافة والأخوار، وتسيل باتجاه الأودية من الصحراء التي تشرف على الجانبين؛ فتبعث بعض النشاط في بطون تلك الأودية(٢).

أَمّا وادي النوبة الوسطى فيمتد من دنقلة إلى حلفا، وكان لا يزال جزءًا أساسًا من أوطان النوبيين يتصف ذلك الإقليم بضيق الأودية، وكثرة ما يتعرض مجرى النهر من جنادل(٣)؛ مِمَّا يقلل من القيّمة الإنتاجية لذلك الإقليم(٤).

ولما كانَ الشريط على جانبي النيل ضيقًا ومرتفعًا عن مستوى النهر، فضلًا عن قلة الأمطار في وادي النوبة الشمالي؛ فقد أدى إلى قسوة الأحوال الطبيعية في ذلك الإقليم(٥).

---

(١) مُحَمَّد عوض، سودان وادي النيل، ص١٢١.

(٢) مسعد، الإسلام والنوبة، ص١٨-١٩.

(٣) الجنادل: وهي حجارة وسط النيل يضعون عليها سراجًا مشعولة؛ فإذا غمرها الماء أرسلوا البشرى إلى مصر بالزيادة. ينظر: المقريزي، الخطط، ٣٥٢/١؛ وابن عبدالحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ٣٤٨/١.

(٤) مسعد، الإسلام والنوبة، ص١٩.

(٥) مُحَمَّد عوض، سودان وادي النيل، ص١٢٢-١٢٣.

أَمّا وادي النوبة السفلى فيعدّ من الأماكن الطاردة سكانيًا[١]؛ لأَنَّ نهر النيل يبدو فيه منحصرًا في بعض المواضع تبدو وكأنَّها عمودين يشرفان على النهر مباشرة، مع وجود بعض الثغرات من الجانبين الشرقي والغربي[٢].

ثالثًا: أهم مدن بلاد النوبة:

١. دنقلة:

بضم الدال المهملة، وسكون النون، وقاف مضمومة، ولام مفتوحة، وهاء في الآخر، وما قلة هو الجاري على ألسنة أهل الديار المصرية[٣]، ودُنقلة بضم الدال والقاف وسكون النون وفتح اللام، وقد ذكرت دنقلة، ودمقلة، ودنكلة[٤]، تقع في الإقليم الأَوّل من الأقاليم السبعة؛ إذ يبلغ طولها ثماني وخمسون درجة[٥]، وعشر دقائق، والعرض أربع عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة، وفي جنوبها وغربيها مجالات زنج النوبة الذين قاعدتهم كوشة[٦]، وهي في غرب النيل على ضفته، ومنه شرب أهلها[٧].

ودنقلة عاصمة مملكة مقرة النوبية، وكانت تمتد تلك المملكة من حدود مصر الجنوبية حتّى الشلال الثالث جنوبًا، وكانت المملكة قد اعتنقت المسيحية في القرن الأَوّل والثَّاني الميلاديين، واشتد اعتناق النصرانية في القرن الخامس الميلادي[٨].

---

(١) مُحَمَّد عوض، سودان وادي النيل، ص١٨٥.

(٢) مُحَمَّد عوض، سودان وادي النيل، ص١٢٢.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٥/٥.

(٤) ابن بطوطة، رحلته، ٢٥١/٤.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ٤٧٨/٢.

(٦) كوشة: هي بلدة مشهورة من بلاد النوبة، بينها وبين نوابة ستة أيام، موقعها فوق خط الاستواء، وأهلها قليلون، وتجارتهم قليلة، وأرضها حارة جافة، ويشر أهلها الماء من عيون تمتد على النيل، وهي في طاعة ملك النوبة. الحميري، الروض المعطار، ٥٠٣/١.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٥/٥.

(٨) الإدريسي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبدالله المعروف بالشريف الإدريسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٩م)، ٣٧/٤.

وكان لها تنظيم إداري يقسم المملكة على ولايات صغيرة يحكمها نواب الملك، وأشهر الولايات: ولاية الجبل، وأشهر منصب هو منصب صاحب الجبل؛ إذ كانَ من أهم اختصاصاته مراقبة الحدود الشمالية للمملكة، وإعطاء الإذن لمن أراد أَنْ يمر[١]، أَمّا أهلها فهم سودان؛ لكنهم أحسن السودان وجوهًا، وأجملهم شكلًا، وطعامهم شعير، والذرة، والتمر، يجلب إليهم من البلاد المجاورة لهم، وشرابهم المزر المتخذ الذرة، واللحوم، والسمك عندهم كثيرة، وفي بلادهم الزرائف، والفيلة، والقرود، والغزلان[٢]، وأرضهم محترقة من شدّة الحرارة، وأهلها عراة مؤتزرون بجلود النمر؛ إذ إنَّها كثيرة عندهم، ويلبسون جلودها[٣].

ت. بلاد البرنو:

أوّلًا: التسمية:

بفتح الباء الموحدة، وسكون الراء المهملة، وضم النون، وسكون الواو[٤]، جاء أوّل ذكر لكلمة (البرنو) عند ابن فضل الله العمري في القرن الثامن الهجريّ/ الرابع عشر الميلادي[٥]، وقد تعددت الآراء حول أصل التسمية ودلالتها؛ فأهل تلك البلاد يرجعون الاسم إلى برنوح؛ أي البر والأرض التي رست عليها سفينة سيدنا نوح عليه السلام؛ إذ إنَّهم يعتقدون في الأسطورة التي تقول: إنَّ سيدنا نوح عليه السلام، كانَ يعيش في الأرض المحيطة ببحيرة التشاد؛ لذلك أطلقوا كلمة برنوح على أرضهم[٦].

---

(١) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص١٠٣.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ٣٨/٤؛ وينظر: البكري، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٣٨.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ص٣٩.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٨/٥.

(٥) التعريف بالمصطلح الشَّريف، ص٤٦.

(٦) جوزيف، جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ترجمة: مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، ودار الكتب المصرية، (القاهرة، ١٩٨٤م)، ص٨٩.

وهناك رأي آخر يقول: إنَّ أصل الكلمة يعود إلى البربر؛ إذ يذكر أَنَّ كلمة برنو تشبه كلمة البيروني، ومعناها: أمة البربر، ويضيف أَنَّ برنو ليست اسم بلد، وإنَّما صيغة الجمع لكلمة بار بار، وتعني: الرجل المحارب في اللّغات الصحراوية.

ثانيًا: جغرافية بلاد البرنو:

تحد بلاد البرنو من الشرق بلاد التكرور(١)، ومن الشمال البلاد الإفريقية، ومن الجنوب الهمج(٢)، وتقع بلاد البرنو غرب بحيرة التشاد، وقد أخذت بلاد البرنو بالتوسع نحو الشمال، والشرق، والغرب(٣)؛ فامتدت من الشمال حتّى زويلة(٤)، الفزان(٥).

ويشير البكري (ت٤٨٧هـ) إلى أَنَّها وراء صحراء زويلة(٦)، ويلحظ أَنَّ اتساع البلاد توقف عند حدود الإقليم الشمالي؛ وذلك لأَنَّ التوسع الشمالي يزيد من تجارتها عبر الصحراء ويقوي اقتصادها(٧).

---

(١) التكرور: تقع شرق إقليم كوكو، وسيتم تفصيلها في موضع آخر. القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٨/٥.

(٢) الهمج: قوم يأكل بعضهم لحم بعض، وهم في طاعة سلطان مالي، وهم سكان بلاد مغارة الذهب. القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٢/٥.

(٣) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص٩٤.

(٤) الزويلة: بفتح أولها وكسر ثانيها، وهي أحد بلدان السودان في البر بين السودان وإفريقيا. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ١٥٩/٣-١٦٠.

(٥) الفزان: بلد يقع بين طرابلس شمالًا وتبستي جنوبًا، وهي منطقة تتناثر فيها الواحات التي تُعدُّ امتداد لواحات القسم الأوسط من الصحراء الكبرى، وتتميز بوجود القصور العظيمة، والقرى الكبيرة العامرة، وسكانها أغنياء. ينظر: الوزان، الحسن بن مُحَمَّد (ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م)، وصف إفريقيا، ترجمة: مُحَمَّد الحصبي ومُحَمَّد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت، ١٩٨٣م)، ١٤٦/٢.

(٦) المسالك والممالك، ص١١.

(٧) لانجي، ممالك التشاد وشعوبها، ٢٦١/٤.

أَمّا فيما يخص الحدود الشرقية فإنَّها تمتد حتّى بلاد النوبة؛ فالإدريسي[١] يذكر عند حديثه عن سكان نجيمي[٢] أَنَّهم يجاورون النوبة من الجهة الشرقية، وتمتد الحدود الغربية حتّى نهر النيجر؛ إذ ضمت قسمًا من بلاد الهوسا في بعض فترات قوّة السلطنة[٣].

وبناءً على ما سبق فإنَّ بلاد البرنو توسعت حتّى صارت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة إلى الغرب، والشرق، والشمال من شواطئ بحيرة تشاد، وأصبحت البحيرة تتوسط قلب البلاد[٤]، وقد أهلها موقعها الجغرافي لأنْ تكون حلقة وصل بين بلاديّ السودان الغربي والشرقي وبين الأراضي الصحراوية في الشمال ومناطق الغابات الاستوائية في الجنوب؛ فصارت بذلك ملتقى طرق عِدَّة تربطها شرقًا بمصر وشمالًا بأماكن بلاد المغرب[٥].

---

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص١٣.

(٢) نجيمي: وهي مدينة تقع جنوبًا، اتخذت مقرًا للملوك، وعاصمة لمُدّة ثلاثة قرون، وكانت مركزًا للتسوق في البلاد، ومساكنها عبارة عن أكواخ. ينظر: ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص٩٥.

(٣) الرباصي، مفتاح يونس، العلاقات بين بلاد المغرب ودولة كانم وبرنو، دار الكتب الوطنية، (ليبيا، ٢٠٠٨م)، ص١٥.

(٤) ليفتسكي، تاديوز، دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء في العلاقات بين الشمال والجنوب، اليونسكو، (لبنان، ١٩٩٤م)، ٤/٣٠٤-٣١٠.

(٥) الشيخلي، صباح إبراهيم، الوجود العربيّ في كانم في السودان الأوسط في القرن ٧هـ/١٣م، مجلة العربيّة للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، العدد الرابع والثلاثون، المجلد التاسع، ١٩٨٩م، ص١٢٢.

ثالثًا: أهم مدن بلاد البرنو:

١. كاكا:

بكافين بعد كُلّ منها ألف[١]، وهي قاعدة سلطان برنو، وبينها وبين جيمي أربعون ميلًا، سلطان تلك البلاد رجل مسلم، وهو من ولد سيف بن ذي يزن[٢]، وأول من بث الإسلام فيها الهادي العثماني الذي ادعى أَنَّهُ من أولاد الخليفة عثمان بن عفانﷺ، وهي بلاد تكثر فيها الفواكه، والرمان، والخوخ، وقصب السكر[٣].

٢. كتنسكي:

بكاف مضمومة، وتاء مثناة فوقها ساكن، ونون مكسورة، وسين مهملة ساكنة، وكاف مكسورة، وبعدها ياء مثناة، وهي شرق مدينة كاكا على مسيرة يوم واحد منها، وهي إحدى مدن البرنو التي انفرد القلقشندي بذكرها[٤].

ث. بلاد كانم:

أوّلًا: التسمية:

بالكاف، بعدها ألف، ثمَّ نون مكسورة، وميم في الآخر[٥]، ومن أوائل الجغرافيين العرب الذين ورد عندهم ذكر بلاد الكانم هو اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) بقوله: "وأَمَّا السودان الذين غربوا، وسلكوا نحو المغرب فإِنَّهم قطعوا لبلاد؛ فصارت لهم عِدَّة ممالك؛ فأول

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٩/٥.

(٢) سيف بن ذي يزن: من ملوك العرب اليمانيين ودهاتهم، قيل اسمه: معد يكرب، ولد ونشأ في صنعاء، دام ملكه نحو خمس وعشرين سنة أو دون ذلك، وأتمر به الأحباش فقتلوه في صنعاء. ينظر: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميّة، (بيروت، ١٤١٥هـ)، ٢٤٩/٣؛ الزركلي، خير الدِّين بن مُحَمَّد، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ١٤٩/٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٠/٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٦٩/٥.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٠/٥.

ممالكهم الزغاوة[١]، وهم نازلون بالموضع يُقال لَهُ الكانم"[٢]، ولا يعرف بالتحديد أصل كلمة الكانم، ولا من أين جاءت[٣]؛ فمن المؤرخين من ذهب إلى القول: إنَّ كانم تشير إلى جنس بشري عرف بالكانم، وهم جنس من السودان[٤]، وقد وافق بعض الجغرافيين هذا الرأي؛ فذكروا أَنَّ كانم صنف من السودان[٥].

في حين يرى آخرون أَنَّ كانم تشير إلى الأرض التي يسكنها الكانميون، وأَنَّهُ بلد متصل بالحبشة[٦]، وهو من بلاد البربر[٧]، وقيل: إنَّ اسم كانم مأخوذ من أسماء القبائل التي سكنت تلك الأرض، وهي قبائل الكانمبو والكانوري، وهما من أهم عناصر السكان الأصلية التي قامت على أكتافهم مملكة كانم الإسلامية[٨].

والذي يهمنا هنا وبغض النظر عن دلالة لفظ الكانم فإنَّ هناك مملكة عظيمة نشأت حول بحيرة تشاد كانَ لها أَثر رائد في تلك البلاد، والذي جعل لها تلك الريادة أسباب كثيرة في مقدمتها الموقع الجغرافي المتميز.

---

(١) الزغاوة: وهم شعب مختلط بعناصر زنجية، تمتد أوطانهم من بلاد دارفور حتّى بحيرة التشاد، وقد هاجر الزغاة إلى تلك الأماكن ما بين (٨٠٠-١٢٥٠م)، اعتنق الزغاوة الإسلام، واستطاعوا تأسيس دولة كانم. ينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص١٠٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ١٩٣/١.

(٣) عارف، شوكت، دولة كانم الإسلامية دراسة في الجوانب السياسية والاقتصادية، دار دجلة للنشر، (الأردن، ٢٠٠٧م)، ص٢٦.

(٤) ابن خلكان، أبو العبّاس شمس الدِّين أحمد بن مُحَمَّد بن إبراهيم (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٧١م)، ١٥/١.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ٤٣٢/٤؛ وينظر: ابن عبدالحق، مراصد الإطلاع، ١٤٤/٣.

(٦) شيخ الربوة الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٤١.

(٧) الجزري، عبدالقادر الحنبلي (ت٩٧٧هـ/١٥٦٩م)، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: مُحَمَّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلميّة، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ٣٦٤/٢.

(٨) الدكو، فضل كلود، الثقافة الإسلامية في التشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من ٦٠٠-١٠٠٠هـ/ ١٢٠٠-١٦٠٠م، (طرابلس، ١٩٩٨م)، ص٣١.

ثانيًا: جغرافية بلاد الكانم:

تقع بلاد كانم بين إفريقية وبرقة[١]، وبين دائرتي عرض (١٤-٢٣) درجة شمالًا، وبين خطي طول (١٠-١٥) درجة شرقًا، ويسود تلك المنطقة المناخ الجاف، والارتفاع الشديد في درجة الحرارة، وقلة الرطوبة، وندرة المطر الذي يسقط سنويًا في بعض الفصول[٢].

وتتشكل مظاهر السطح من مجموعة من الأحواض المنخفضة، والجبال أهمها: تبستي – موطن عناصر التيبو[٣] – قرب بحيرة التشاد[٤]، وأدى ذلك الموقع إلى تنوع المناخ؛ إذ يسود المناخ الاستوائي في الجنوب والمناخ الصحراوي في الشمال؛ مِمَّا أدى إلى تنوع الحياة النباتية في البلاد[٥]؛ إذ وجدت المراعي الخصبة، والأراضي الصالحة للزراعة، وقد شجع ذلك على الاستقرار السكاني، وتنوع الإنتاج الزراعي[٦]؛ فوجدت عندهم محاصيل عِدَّة[٧]، وبحكم الموقع المتوسط لبلاد كانم بين طرق عِدَّة تربطها شمالًا ببلاد المغرب والبحر المتوسط، وشرقًا بمصر.

وتوجد عِدَّة طرق أُخرى تصل مملكة كانم بالسودان الغربي، وجعلها ذلك الموقع نقطة التقاء للقوافل التجارية؛ فهي تقع في قلب القارة الإفريقية؛ مِمَّا جعلها تربط شرق

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٧٠.

(٢) الإدريسي، أبو عبدالله مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت٥٦٠هـ/١١٦٢م)، أنس المهج وروض الفرج، تحقيق: الوافي نواحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المغرب، ٢٠٠٧م)، ص١١١.

(٣) التيبو: من أقدم سكان منطقة تشاد، يسكنون في جبال تبستي شمال بحيرة تشاد، بيئتهم صحراوية؛ فهم يعيشون حياة البرية، ويعتمدون في عيشهم على رعي الإبل. ينظر: مُحَمَّد عوض، الشعوب والسلالات الإفريقية، ص٣٠٦.

(٤) سعودي، مُحَمَّد عبدالغني، إفريقية، الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٩٧م)، ص٢٧٢.

(٥) غلاب، مُحَمَّد السيد وآخرون، البلدان الإسلامية والأقليات في العالم المعاصر، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، (الرياض، ١٩٧٩م)، ص٥٢٣.

(٦) بصيلي، تاريخ وحضارات السودان الشرقي، ص٤١١.

(٧) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ٤/٩٥.

القارة بغربها، وشمالها، وجنوبها، ومملكة كانم كانت معبرًا حضاريًا بين حضارات إفريقيا المختلفة، وكلّ ذلك انعكس على أحوال المجتمع(١).

ثالثًا: أهم المدن في بلاد كانم:

١. جيمي:

بكسر الجيم، وبالياء المثناة تحت الساكنة، وكسر الميم، ثمَّ ياء مثناة تحتية في الآخر.

موقعها في الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة حيث طول ثلاث وخمسون درجة والعرض تسع درجات(٢)، وبها مقر سلطانهم(٣)، ومبدأ تلك المملكة من جهة مصر بلدة دلا وآخرها طولًا بلدة يُقال لها: كاكا، وهي قاعدة سلطنة البرنو، وبينها وبين جيمي أربعون ميلًا(٤)، واستمرت قاعدة البلاد لمُدّة ثلاثة قرون تقريبًا، وهي مركز للتسوق في البلاد، ومساكنهم تتكون من أكواخ(٥).

ج. بلاد مالي:

أوّلًا: التسمية:

بفتح الميم، وألف بعدها لام مشددة مفخمة، وياء مثناة تحت الآخرة(٦)، وذكرت ملل(٧)، وأَنَّ مدينة ملل هي مدينة صغيرة كالقرية الجامعة لا سور لها، وهي على تل تراب أحمر منيع(٨)، وقال عنها ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ): "فوصلت إلى مدينة مالي

---

(١) الشيخلي، الوجود العربيّ في كانم في السودان الأوسط حتّى القرن ٧هـ/١٣م، ص٨١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٠/٥.

(٣) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ٩٥/٤؛ وينظر: صبح الأعشى، ٢٧٠/٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٠/٥.

(٥) ابن سعيد، الجغرافيا، ص٩٥.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧١/٥.

(٧) البكري، عبيدالله بن عبدالعزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، المسالك والممالك، دار الكتب الإسلامية، (القاهرة، د.ت)، ص١٧٨.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٦.

حضرة ملك السودان"[١]، وهي معروفة عند العامة ببلاد التكرور[٢]، وإذا أطلقت كلمة مالي فإنَّها تعني العاصمة، وأَنَّها تعني الدولة أيضًا، وَمِمَّا هو جدير بالذكر أَنَّ مالي ليس اسم بلد فحسب، بل اسم ثاني للممالك الإسلامية السودانية الكبرى، التي قامت في السودان الغربي[٣].

ولابُدّ الإشارة هنا إلى أَنَّ دولة مالي كانَ يطلق عليها أحيانًا بدولة الماند نجو، وهم مجموعة من القبائل التي كونت تلك الدولة، وسادت على البلاد عِدَّة قرون[٤].

ثانيًا: جغرافية بلاد مالي:

تقع بلاد مالي في جنوب نهاية المغرب متصلة بالبحر المحيط، وأَنَّها مملكة "مربعة طولها أربعة أشهر[٥]، ويزيد عرضها مثل ذلك، وجميعها مسكونة إلَّا ما قلّ، وتلك المملكة هي أعظم ممالك السودان المسلمين"[٦]، حدّها من الغرب البحر المحيط وبلاد برنو، ومن الشرق ومن الشمال جبال البربر، ومن الجنوب الهمج[٧]، اتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالغرب إلى بلاد التكرور بالشرق، ويصل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب الإفريقية[٨].

وتعدّ مملكة مالي من أهم الممالك وأكبرها التي قامت في السودان الغربي، وقد أسس تلك المملكة شعب الماند نجو وهم من الشعوب الزنجية، وفي هذا الصدد ذكر العمري (ت٧٤٩هـ) "أَنَّ ملوك مالي أعظم ملوك السودان المسلمين وأوسعهم بلادًا،

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص٦٨١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧١/٥، وينظر: شبيب، بشار عبدالجبار، دولة مالي الإسلامية، بحث منشور، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، العدد ٢٩، ٢٠١٣م، ص٣.

(٣) مؤنس، حسين، ابن بطوطة ورحلته، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٠م)، ص٢٣٢.

(٤) طرخان، إبراهيم، دولة مالي الإسلامية، الهيئة العامة للكتب، (القاهرة، ١٩٧٣م)، ص٢٧.

(٥) تعني مسيرة أربعة أشهر.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٢/٥.

(٧) ابن خلدون، تاريخ، ٢٧٦/٦.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٣.

وأكثرهم عسكرًا، وأشدهم بأسًا، وأعظمهم مالًا، وأحسنهم حالًا، وأقصرهم للأعداء"[١]، وقيل" "سلطان الدُّنيا أربعة ما خلال السلطان الأعظم"[٢] سلطان بغداد، ومصر، وسلطان بن (برنو)، وسلطان مل (مالي)[٣].

وإنَّ حدود مالي في عهد ازدهارها وتوسعها تطابقت مع حدود السودان الغربي[٤]؛ إذ إنَّ ذلك الموقع جعلها تتميز بعدّة إيجابيات ومميزات، تمثلت بوقوعها في بلاد غزيرة بالأمطار نسبيًا تجري فيها بعض الأنهار، مثل: السنغال، والنيجر، ونهر غامبيا، وفولتا[٥]، فضلًا عن تنوع المناخ، وخصوبة الأرض، وتوافر الثروة الحيوانية، والسمكية، والثروة المعدنية، ولاسِيَّمَا الذهب، والملح، والنحاس[٦].

وقد اشتملت مملكة مالي على خمسة أقاليم، كُلّ منها عبارة عن مملكة لها حكم ذاتي محلي، وهي:

١. إقليم مالي:

يقع هذا الإقليم وسط المملكة، يحدّها من الغرب إقليم صوصو، ومن الشرق كوكو، وقاعدة الإقليم مدينة (بني)، وهي مدينة مبنية بيوتها من الطين، ومسقفة بالخشب والقصب، وغالب تلك البيوت على شكل قباب، وأرضها رملية، والمدينة غير

---

(١) مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ٤/٥٩-٦٠.

(٢) طرخان، دولة مالي الإسلامية، ص٢٦.

(٣) محمود كمت، ابن الحاج المتوكل كمت الكرمني (ت١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النَّاس وذكر التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الأحرار، تحقيق: آدم بمبا، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، (لبنان، ٢٠١٤م)، ص٣٨-٣٩.

(٤) العمري، التعريف بالمصطلح الشَّريف، ص٣٧.

(٥) عيانة، فتحي مُحَمَّد،جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية مع تطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٢٢٣.

(٦) الدالي، الهادي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، ١٩٩٩م)، ص٢٦٧.

مسوّرة، يستدير بها فروع عِدَّة من النيل من جهاتها الأربع، بعضها يخاض في أيام قليلة الماء، وبعضها لا يعبر فيه إلَّا سفن، وللملك قصور عِدَّة يدور حولها سور واحد[١].

٢. إقليم صوصو:

بصادين مهملتين مضمومتين بعد كُلّ منهما واو ساكنة ورُبَّما أبدلوا الصاد سينًا مهملة، وسمي بذلك باسم سكانه[٢]، يحدّه من الشرق إقليم مالي، ومن الغرب إقليم غانة، ومن الجنوب الغابات الاستوائية والقبائل الوثنية[٣]، ولم يردّ اسم هذا الإقليم في المصادر التالية للقلقشندي، وأَنَّ العمري لم يذكره في ضمن أقاليم المملكة، ويبدو أَنَّهُ اتخذ اسمًا جديدًا بعد نفوذ مملكة مالي، وانتشار الإسلام في أرضها.

٣. إقليم كوكو:

بفتح الكاف، وسكون الواو، وفتح الكاف الثانية، وسكون الواو، وهي شرق إقليم مالي[٤] من الغرب تحدّه مملكة كانم وبرنو، ومن الشمال الصحراء، أَمّا الجنوب فشعب الهوسا وبعض القبائل الوثنية السودانية، ومدينة كوكو هي عاصمة الإقليم، تقع تلك المدينة شرقي نهري النيجر[٥]؛ إذ يمر بها ويجاوزها بأيام كثيرة، ثمَّ يغوص في الصحراء في الرمال، كما يغوص الفرات في بطائح العراق[٦]، وهي واقعة بين خط الاستواء وبين أوّل الإقليم الأَوّل، إذ يقابلها مسلمي غانة من الغرب، ومسلمي كانم من الشرق، وأهلها مسلمون، ولباس عامة أهلها الجلود، يسترون بها عوراتهم، وتجارهم يلبسون الأكسية،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٢/٥؛ وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٦٠/٤؛ أحمد بلعراف، إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، مطابع الوحدة العربيّة، (ليبيا، ٢٠٠١م) ص٥٠.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٣/٥.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ٦٠/٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٤/٥.

(٥) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٧٨.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٤/٥.

وعلى رؤوسهم[١] كرازين[٢]، ولباس خواصهم الأزرق، وقاعدتهم مدينة كوكو تقع جنوب البلاد، وهي مقر صاحب البلاد، وهو كافر[٣].

٤. إقليم غانة[٤]:

يقع هذا الإقليم غرب إقليم صوصو المذكور آنفًا، يجاور البحر المحيط الغربي[٥]، وقاعدة الإقليم أو عاصمته مدينة غانة، التي تقع على ضفتي النهر (النيل)، وتمتاز بوجود مناجم الذهب، ولاسِيَّمَا في مناطق الجنوب[٦]، ويحكم الإقليم حاكم يدعى السلطان، ويدعي أَنَّهُ من نسل الإمام الحسينﷺ[٧]، ولغانة نيل شقيق لنيل مصر يصب في البحر المحيط، وتقع على ضفتيه مدينتان أحدهما للمسلمين والأخرى للوثنيين[٨]، يقصدها التجار من سائر البلاد، وفي أرضها الذهب ظاهر، ولهم في النيل زوارق عظيمة، وأهلها يستخرجون الذهب ويصنعونه كاللبن، وتشتري التين، والملح، والنحاس، ولها ملك ضخم حوله عدد الجنود، وله ممالك عديدة فيها ملوك تحت يده[٩].

---

(١) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص١٠١.

(٢) الكرازين: وهي القلانس؛ فالكرازين جمع: كرزن، والكراز: القارورة؛ فالقلنسوة تشبه القارورة. ابن منظور، جمال الدِّين مُحَمَّد بن مكرم الإفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ٣٥٨/١٣.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٤/٥-٢٧٥.

(٤) غانا: هي ليست غانا الحالية؛ فغانا الحالية كانت تسمى ساحل الذهب، ثمَّ سميت غانا؛ تيمنًا بغانا القديمة، التي تقع على بُعد ألف ميل شمال غانا الحديثة. طرخان، إبراهيم، إمبراطورية غانا الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٧٠م)، ص٣٠.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٤/٥.

(٦) العمري، التعريف بالمصطلح الشَّريف، ص٤٤.

(٧) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص١٠٠.

(٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٤/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص١٠٠؛ الروض المعطار، ص٤٢٥.

(٩) البكري، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٣٦.

٥. إقليم التكرور:

بفتح التاء المثناة فوق، وسكون الكاف، وضم الراء المهملة، وسكون الواو مهملة في الآخر[١]، وممن أشار إلى مدينة التكرور البكري (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤هـ)، الذي وصف المدينة بأَنَّها كانت على شرك وعبادة الأصنام، إلى أَنْ حكمهم أرجابي بن رابيس[٢]، الذي أَسلم وأقام شرائع الدِّين الإسلامي، وحمل أهل التكرور على الإسلام في وقت كانت سائر السودان الغربي على شرك وعبادة الأصنام[٣].

وتطور اسم التكرور ليشمل بلاد السودان الغربي كُلّها، بعد أَنْ كانَ يطلق على مدينة التكرور فقط[٤]، "والتكرور بلاد تنسب إلى قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب، وأهلها أشبه النَّاس بالزنوج"[٥]، وهي مدينة غير مسورة، وأهلها خليط من مسلمين وغيرهم ذلك في القرن السابع الهجريّ[٦].

وينتشر اسم التكرور بالمشرق ليعبر عن مفهوم كُلّ أرض السودان الغربي، التي كانت تسمى عندهم بأرض التكرور، وملكها هو ملك التكرور، وصحاب تلك المملكة – دولة مالي – وهو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور؛ لأَنَّ التكرور إِنَّما هو إقليم من أقاليم السودان الغربي، والأحب إليه أَنْ يُقال: صاحب مالي؛ لأَنَّهُ الإقليم الأكبر، وهو به أشهر[٧]، ويحدد القلقشندي إقليم التكرور جغرافيًا بأَنَّهُ يقع غرب إقليم كوكو، ويمتد إلى البحر المحيط غربًا، وفي الشمال تحدّه الصحراء الكبرى، وقبائل مملكة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٥/٥.

(٢) أرجابي بن رابيس: ولي التكرور، ونشر الإسلام فيها، وتمكن أَنْ يدخل الإسلام إلى المدن المجاورة كمدينة سلي، وكان لَهُ أثر كبير في تنظيم ركب الحج أهل التكرور إلى مكة، توفي سنة (٤٣٢هـ). ينظر: البكري، المسالك والممالك، ٨٦٨/٢.

(٣) الإدريسي، المسالك والممالك، ٨٦٨/٢.

(٤) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص٩١.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، ٣٧٦/١.

(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٦.

(٧) العمري، مسالك الأبصار، ١٠٧/٤-١٠٨.

الملثمين من صنهاجة وغيرها، وعاصمة هذا الإقليم التكرور، التي تبعد عن سجلماسة مسيرة أربعون يومًا[١]، وهي مدينة على جانبي النيل حيث الطول والعرض، والتكرور قسمان، قسم يسكنه الحضر في المدن، وقسم رحالة يسكون في البوادي[٢]، وطعامهم السمك، والذرة، والألبان، وأكثر مواشيهم الجمال والمعز، ولباس عامة أهلها الصوف، وعلى رؤوسهم كرازبن صوف[٣]، ولباس خاصتهم القطن، وأكثر ما يحملونه لهم به تجار المغرب الأقصى الصوف، والنحاس، والخرز، ويعودون منها بالتبر والعبيد[٤].

ح. مملكة الحبشة:

أوّلًا: التسمية:

بفتح الحاء المهملة، والباء الموحدة، والشين المعجمة، والهاء في الآخر[٥]، وكلمة الحبشة اشتقت من لفظ حبشان، وهو اسم قبيلة عربية[٦]، نزحت من جنوب شبه الجزيرة العربيّة إلى سواحل بحر القلزم الغربية، ثمَّ توغلت إلى المرتفعات الجبلية؛ لتصبح فيما بعد إحدى القبائل التي أسهمت في تأسيس مملكة أكسوم[٧]، وبدأ النازحون

---

(١) صبح الأعشى، ٢٧٥/٥.

(٢) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٩٨.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٥/٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٧٥/٥.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٢٨٩/٥.

(٦) جاء اسم هذه القبيلة من الحبش بفتح أوله وكسر ثانيه، وهو جبل بمكة؛ إذ قام حلف بين قريش وبعض القبائل العربيّة على ألَّا ينقضون ما بينهم ما دام حبش قائم مكانه، وهو مكان على بعد عشر أميال من مكة. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧٥٣/٢-٧٥٤.

(٧) مملكة أكسوم: قامت هذه المملكة في هضبة الحبشة، وتركزت في الجزء الشمالي تأثرت بالحضارات السامية، ولاسِيَّمَا العنصر السبئي، الذي اشتقت منهُ أصلًا، توسعت هذه المملكة على جيرانها، وأصبحت قوّة كبيرة غرب البحر الأحمر؛ حتّى اعترف بها الروم عند غزوهم مصر، وبلغت ذروة مجدها في عهد الملك (عيزانا)، الذي لقب بقسطنطين إفريقيا خلال القرن الرابع الميلادي. ينظر: علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٤١/٦.

في الاختلاط مع سكان البلاد الأصلية، وهذا يعني أَنَّ اسم الحبشة إِنَّما جاء نسبة إِلى تلك القبيلة اليمنية الأصل، واشتهرت تلك البلاد بهذا الاسم، الذي حرّفه البرتغاليون عند قدومهم إِلى تلك البلاد(١).

وهناك رأي يشير إِلى أَنَّ تسمية الحبشة يرجع إِلى ما عرف عن أهالي الحبشة الأوائل، الذين كانوا يسكنون المغارات والكهوف، التي تسمى بالحبشة (واشا)؛ إِذ عرفت بلادهم بهذا الاسم الذي حرّف فيما بعد وصار حبشة(٢).

ثانيًا: جغرافية مملكة الحبشة:

مملكة الحبشة هي مملكة عظيمة، جليلة المقدار، متسعة الأرجاء، فسيحة الجوانب، أولها من جهة الغرب بلاد التكرور مِمَّا يلي جهة بلاد اليمن، وأولها من الجهة الشرقية المائلة إِلى بعض الجهة الشمالية بحر الهند(٣)، وفيها يمر نهر المسمى سيحون(٤)، الذي يرفد منهُ نيل مصر(٥).

---

(١) البغدادي، عبدالسلام، الجماعات العربيّة في إفريقيا دراسة في أَوضاع الجاليات والأقليات العربيّة، مركز دراسات الوحدة العربيّة، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص١٧٥.

(٢) حسين، عبدالله، المسألة الحبشية، المطبعة الرحمانية، (القاهرة، ١٩٣٥م)، ص٥٥.

(٣) بحر الهند: وهو البحر الحبشي، وهو بحر اليمن، والهند، والسند، والزنج، والأبلة، وفارس، وعمان، والبحرين، واليمن، والقلزم، وليس في المعمورة أعظم منهُ طول من الشرق إِلى الغرب ثمانية ألف ميل، وعرضه ألفان وسبعمائة ميل، وهو ستة أبحر مخترقة بعضها في بعض، وهو المحيط الهندي. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ١/١٩١؛ ابن عبدالحق، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ص٦٦.

(٤) نهر سيحون: وهو نهر العطبرة. ينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٧٧.

(٥) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٧٧؛ العمري، مسالك الأبصار، ٤/٨٥.

والحبشة بلاد واسعة ذات عمائر واسعة، متصلة بالبحر الحبشي، وساحلها به كثير من المدن التي تقابل ساحل اليمن، وأَنَّ المسافة بين زبيد[١] من أَرض اليمن وساحل الحبشة ثلاثة أيام[٢]، وأَنَّها تطل على بحر القلزم من الشرق، ويحدها غربًا بلاد الزنج، ومن الشمال النوبة، ومن الشمال الشرقي قبائل البجة الذين يسكنون بين البحر الأحمر والنيل عند حدود مصر الجنوبية[٣]، أَمّا الزهري فيحدد الحبشة بقولهِ: "يحدّها من الغرب النيل العظيم، ومن الشرق بحر القلزم، وفي الجنوب جبال الذهب التي على خط الاستواء، أَمّا حدّها الشمالي فيصل إِلى آخر بلاد كوش[٤] حتّى أسوان" إحدى مدن مصر[٥].

(١) زبيد: هو اسم وادي به مدينة كانت تسمى الحصيب، ثمَّ غلب على المدينة اسم الوادي؛ فصارت تعرف باسمه، وهي مدينة يمنية تُعدُّ أَكبر المدن بعد صنعاء، وهي من أهم المراكز التجارية. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ٢٨٤/١-٢٨٥؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١٨٣/١؛ ابن الديبع، أبو ضيا عبدالرحمن علي الشيباني (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م)، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، ط٢، تحقيق: مُحَمَّد بن علي كوع، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص٣٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ١١٤/١.

(٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ١٦/١.

(٤) بلاد كوش: اسم كوش في الكتاب المقدس ذكرت، وعند ذكر المصريين القدماء الجماعات البشرية التي كانت تسكن مناطق النيل الأوسط فيما وراء الحدود المصرية العليا؛ فضموا أراضي كوش في حُقب من تاريخهم؛ حتّى أصبحت جزء لا يتجزأ من الأراضي المصرية. ينظر: القنائي، أحمد الحفني، الجواهر الحسان في تاريخ الأحباش، المطبعة الأميرية، (القاهرة، ١٩٠٣م)، ص٣؛ جوزيف، جوان، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء، ص٣٥؛ الزهري، أبو عبدالله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م)، الجغرافيا، تحقيق: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدّينية، (القاهرة، د.ت)، ص١٢٣.

(٥) أبو عبدالله مُحَمَّد بن أبي بكر (ت٥٥٦هـ/١١٦٠م)، الجغرافيا، تحقيق: مُحَمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدّينية، (القاهرة، د.ت)، ص١٢٣.

أَمّا أبو الفدا (ت٧٣٢هـ) فذكر الحبشة قائلًا: "إنَّ بلاد الحبشة تقابل بلاد الحجاز واليمن، وبلادهم تتصل بالخليج البربري[١]، ولها مدن كثيرة، وهي تجاور النوبة من الجنوب والشرق"، والحبشة هضبة مترامية الأطراف، شاهقة الارتفاع، تنقسم على قسمين، الأَوّل هو: القسم الشمالي، وهو الذي يدخل في ضمن حوض النيل، وتجري منهُ الأنهار التي تغذي نيل مصر، وهذه الهضبة هي المعقل الرئيس لمملكة الحبشة، أَمّا القسم الثاني فهو: الجنوبي، وهو أَقل وعورة، وأَنَّ مرتفعاته أَقل علوًا، ووديانه أَقل عمقًا، يفصل بين القسمين الأخدود الإفريقي الذي يمتد من الجنوب إلى الشمال الشرقي[٢]؛ وعلى هذا فإنَّ الحبشة تقع في شرق القارة الإفريقية، وهي تتكون من هضبة مترامية الأطراف، وهي أعلى هضاب إفريقيا، وجبالها من أعلى جبال القارة[٣]، ويرجع ذلك الارتفاع الملحوظ في هضبة الحبشة إلى الطفح البركاني الذي غطى معظم الهضبة[٤]، ويراوح ارتفاع هضبة الحبشة في المتوسط ما بين ألفين وخمسمائة متر؛ ولكنَّ الهضبة في الوقت نفسه تحتوي على قمم جبلية عِدَّة، يصل الارتفاع إلى أكثر من أربعة آلاف متر، وهي هضبة مستديرة الشكل، تنحدر في الاتجاهات جميعها، إلَّا أَنَّ انحدارها العام باتجاه الغرب[٥]، وهضبة الحبشة مقطعة بوديان وانهار متعددة من

---

(١) المختصر في أخبار البشر، ٩٥/١. أَمّا خليج البربري: وهو أحد خلجان البحر الحبشي أو الهندي، متصل بأرض الحبشة، طوله خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٤٠/١.

(٢) السيوطيّ، أبو الفضل جلال الدِّين عبدالرحمن (ت٩١١هـ/١٥٠٥هـ)، رفع شأن الحبشان، تحقيق: مُحَمَّد عبدالوهاب فضل، (القاهرة، ١٩٩١م)، ص١٥-١٦.

(٣) مُحَمَّد عوض، نهر النيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، (القاهرة، ٢٠٠٨)، ص١٠٥.

(٤) رفلة، فليب، الجغرافية السياسية لإفريقية مع دراسة شاملة للدول الإفريقية سياسيًا واقتصاديًا وطبيعيًا، مكتبة النهضة المصرية، ط٢، (القاهرة، ١٩٦٦م)، ص٢٢٨.

(٥) أبو عيانة، فتحي مُحَمَّد،جغرافية إفريقيا دراسة إقليمية للقارة مع تطبيق على دول جنوب الصحراء، دار المعرفة الجامعة، (الإسكندرية، ١٩٨٧م)، ص٥٠٦.

أهمها: روافد النيل في الشمال التكازا[١]، وفي الجنوب الغربي نهر السوباط[٢]، وفي الغرب نهر النيل الأزرق، أَمّا من أَبرز هضابها فهضبة أمحرا، التي تقع في الشمال الشرقي، وهضبة جودجاد الواقعة بين النيل الأزرق جنوبًا وبحيرة تانا[٣] شمالًا[٤].

وهضبة شوا تقع إلى الشرق وجنوب الشرق من هضبة جودجام، وتنحدر نحو السهول الصحراوية الشرقية، وهضبة بالي تقع إلى الشرق من هضبة شوا.

أَمّا الأراضي الساحلية فتوجد فيها بعض السهول الساحلية التي تنحدر من الشمال إلى الجنوب[٥]، وبناء على ما تقدّم يفهم أَنَّ مملكة الحبشة كانت تركز بصفة رئيسة في الهضبة الشمالية، وتشمل أقاليم عِدَّة، ويتحدث السيوطيّ عن وجود العدد من الإمارات والممالك في الحبشة؛ فهي ليست مملكة واحدة؛ إذ كانت تنقسم على إمارات وأقاليم[٦]، وذكر القلقشندي (ت٨٢١هـ) أَنَّها أحد عشر إقليمًا، وهي: إقليم سرحت، وإقليم أمحرا، وإقليم شاوة، وإقليم داموت، ثمَّ إقليم لامنان، ثمَّ إقليم السيهر، ثمَّ اقلي الزلح، ثمَّ

---

(١) التكازا: نهر يعرف بالتكازا في كُلّ من ارتيريا وأثيوبيا، وعندما يدخل السودان يعرف بعطبرة. ينظر: مُحَمَّد عوض، نهر النيل، ص٩١.

(٢) نهر السوباط: هو أحد أعظم روافد النيل القادمة من الحبشة، يلتقي بالنيل الأبيض قرب ملكان، وبفضل مياهه الغزيرة وتياره المتدفق يستمد النيل الأبيض قوته وحيويته؛ مِمَّا يتيح لَهُ معاودة جريانه نحو الشمال، غير أَنَّ جزءًا كبيرًا من مياهه يفقدها في المستنقعات. ينظر: مُحَمَّد عوض، نهر النيل، ص١٠٨.

(٣) بحيرة تانا: تقع هذه البحيرة في هضبة الحبشة؛ ولكنها تقع بالقرب من الحافة الغربية لهذه الهضبة لا في وسط الهضبة كما يتصور البعض، ومنها تتجمع المياه العليا لنهر النيل الأزرق، وتبلغ مساحتها نحو (٣٦٠) كيلومترًا مربعًا. ينظر: مُحَمَّد عوض، نهر النيل، ص١١٠.

(٤) مُحَمَّد عوض، نهر النيل، ص١٠٨.

(٥) عيانة، جغرافية افريقية، ص٥٠٥.

(٦) السيوطيّ، رفع شأَن الأحباش، ص١٩.

إقليم عدل الأمراء، ثمَّ إقليم حماسا، ثمَّ إقليم باريا، ثمَّ إقليم الطراز الإسلامي[١]، وهي على قسمين رئيسين، الأَوّل: البلاد النصرانية، والثَّاني: ما هو بيد المسلمين[٢].

ثالثًا: أهم مدن الحبشة:

١. أشهر المدن النصرانية:

أ. مَرِعْدِ:

بفتح الميم، وكسر الراء، وسكون العين، وكسر الدال المهملتين، وياء مثناة تحت في الآخر[٣]، وهي قاعدة إقليم أمحرا، وهو أوسع أقاليم الحبشة، وأمحرا هو الاسم الذي اشتقت منهُ اسم أَكبر القبائل وهي قبيلة أمهارة[٤].

ب. جرمي:

بالجيم المفتوحة، والراء المهملة الساكنة، ثمَّ الميم المكسورة، وياء مثناة تحتية في الآخر[٥]، وهي قاعدة بلاد الحبشة، وكسري النجاشي[٦]، وبها يباع الذهب والنحاس[٧]،

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٩٠-٢٩١؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨١-٨٢؛ العمري، مسالك الأبصار، ٤/٨٥-٨٦.

(٢) صبح الأعشى، ٥/٢٩١-٣١٠.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٩١.

(٤) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٧٧.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٩١.

(٦) النجاشي: هو أصحمة بن أبحر النجاشي، ملك الحبشة، والنجاشي لقب اسمه بالعربية عطية، أسلم في عهد الرسولﷺ، وكان رداءً للمسلمين؛ إذ أحسن معاملتهم عندما هاجروا إليه في صدر الإسلام، توفي في عهد الرسولﷺ قبل فتح مكة. ينظر: الذهبي، شمس الدِّين أبو عبدالله مُحَمَّد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م)، سير أعلام النبلاء، ط٣، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ١/٤٢٨؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: مركز حجر، د.ت، ٦/٣٨٧.

(٧) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٧٧؛ وينظر: المنجم، إسحاق بن الحسن (ت ق ٤هـ) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كُلّ مكان، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص١٠٤.

موقعها في الإقليم الأَوّل من الأقاليم السبعة؛ حيث الطول خمس وخمسون درجة والعرض تسع درجة وثلاثون دقيقة[١].

٢. أشهر المدن الإسلامية:

وهي البلاد المقابلة لبر اليمن على أعالي بحر القلزم وما يتصل به من بحر الهند، ويعبر عنها بـ(الطراز الإسلامي)؛ لأَنَّها على جانب البحر كالطراز لَهُ، ويقال لها بالشام ومصر: بلاد الزيلع، وزيلع بفتح الزاي المعجمة وسكون الياء المثناة تحتية، وفتح اللام، ثمَّ عين مهملة في الآخر، وهي قرية من قرى البلاد؛ ولكن غلب اسمها على البلاد، طولها نحو شهرين وعرضها يمتد أكثر من ذلك[٢].

والزيلع مدينة على ساحل البحر، صغيرة القطر، كثيرة النَّاس[٣]، أهلها مسلمون، وحرها شديد، وماؤها عذب، وليس لها بساتين، ولا يعرفون الفاكهة[٤]، وتشتمل بلاد الطراز الإسلامي على سبع قواعد، كُلّ قاعدة منها مملكة مستقلة بها ملك مستقل[٥]، وهي على النحو الآتي:

أ. سلطنة أوفات:

بالواو المفتوحة، والفاء، ثمَّ الألف، والتاء المثناة فوق في الآخر، والعامة تسميها (أوفات)، ويقال أيضًا: (جبرة) بفتح الجيم، والباء الموحدة، والراء المهملة، ثمَّ هاء في الآخر، تقع بين الإقليم الأَوّل، وخط الاستواء، طولها سبع وخمسون درجة والعرض ثمان درجات، وأَنَّها من أكبر مدن الحبشة، عمارتها متفرقة، ودار الملك على تلك، والقلعة على تل، ولها وادي فيه نهر صغير، وتمطر في الليل مطرًا غزيرًا، وتشتهر بزراعة

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٢٩١.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٥/٣١٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٢٨٢.

(٤) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٠٤.

(٥) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٠٤.

قصب السكر، أرضها عامرة بالقرى، وهي أَقرب المدن إلى الديار المصرية[١]، يتكلم أهلها لغتين: العربيّة والحبشية، وتعدّ أقوى سلطنة إسلامية قامت في الحبشة؛ بسبب بتحكمها بالطريق التجاري إلى ميناء الزيلع الرئيس في تجارة الحبشة، وهي سوق تجارية[٢]، وقد أسسها قوم من قريش من بني عبدالدار أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب، وقد اشتهر قوم منهم بالصلاح، وظهر من بينهم رجل يسمى عمر، ويلقب بـ(ولشمع)، حكم مدينة أوفات، واعترف بسلطان النجاشي الذي ولاه، وظل على ذلك حتّى قوى أمره[٣].

وإنَّ التاريخ السياسي لمدينة أوفات بدأَ يتضح نحو سنة (٧٠٠هـ/١٣٠٠م)؛ إذ أورث عمر تلك السلطة لأولاده الأربعة أو الخمسة، الذين ملكوا أوفات من بعده واحدًا بعد الآخر، ومنهم: حق الدِّين الأَوّل حتّى كانَ آخرهم صبر الدِّين مُحَمَّد بن نجوي بن منصور بن عمر، ولشمع ملك أوقات في حدود سنة (٧٠٠هـ)، وطالت مدته، ولما مات قام بعده ابنه علي بن صبر الدِّين مُحَمَّد بن عمر ولشمع، وقد ذاعت شهرته في البلاد؛ إذ يُعَدُّ أوّل من خرج على طاعة الحطي؛ ولكنه لم يلبث أَنْ عاد إلى طاعته؛ إذ تخلى عنه أنصاره، وأَنَّ أوّل من استبد بالأمور، وحارب ملك الحبشة فعلًا، وأسر الكثير من عساكر الحطي، وغنم كثير من الأموال هو حق الدِّين، الذي نجح في جمع النَّاس حوله، واستطاع أَنْ يهزم جيوش الحطي سيف أرعد (١٣٤٤-١٣٧٢م)، ويعدّ حق الدِّين أيضًا أوّل السلاطين الذين حكموا أوفات الذين خرج على أهله وحاربهم؛ إذ اشتهر في بداية حكمه بالإصلاح، والتقوى، وطلب العلم؛ ولكن ما لبث أَنْ رأى انحراف جده عنه، ومعاداة أعمامه لَهُ؛ حتّى إنَّهُ خرج من مدينة أوفات إلى بعض أعمالها، وألزم تلك

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١١/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٣.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ٣٩/٤-٤٢.

(٣) المقريزي، الإلمام، ص٨٦؛ وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٣٩/٤.

الجهة، وجمع النَّاس حوله؛ حتّى قوى جانبه، واستطاع تكوين عصبة قوية من الأتباع، استطاع بتلك العصبة أَنْ يحارب عمه أبا بكر ويقتله، واستنجد العم الآخر ملا أصفح بسيف أرعد؛ ولكنه انتصر عليه وقتل ذلك العم، وبعدها هجر حق الدِّين مدينة أوفات العاصمة، وأمر الكثير من أهلها بالهجرة معه إلى العاصمة الجديدة، التي أسسها في بلاد الشوا وسماها بـ(وحل)؛ إذ سكن فيها مع من هاجر معه من أوفات، ومنذ ذلك الحين خربت مدينة أوفات، ولم تعدّ دار الملك؛ حتّى سقطت أمام هجمات الأحباش المستمرة عام (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)[١].

ب. سلطنة دوارو:

بفتح الدال المهملة، وواو، ثمَّ راء مهملة وواو، طولها خمسة أيام وعرضها يومين، وهي على ضيق وذات عسكر جم[٢]، أهلها حنفية[٣] المذهب.

ت. سلطنة أرابيني:

وهي مملكة مربعة، طولها أربعة أيام وعرضها كذلك، عسكرها ما يقارب عشرة آلاف فارس، أَمّا الرجالة فكثيرة للغاية[٤]، أهلها حنفية، وهي تلي دوارو[٥].

ث. سلطنة هدية:

بالهاء، والدال المهملة، والياء المثناة التحتية، ثمَّ هاء في الآخر، موقعها بين الإقليم الأَوّل من الأقاليم السبعة وبين خط الاستواء، طولها سبع وخمسون درجة والعرض سبع درجات، وتقع جنوب أوفات تلي أرابيني، وملكها أقوى ملوك ممالك

---

(١) المقريزي، الإلمام، ص٨٦-٩٨؛ وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٣٩/٤-٤٢.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٢/٥.

(٣) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٤؛ وينظر: مسالك الأبصار، ٧٥/٤.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٣/٥.

(٥) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٤، وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٧٥/٤.

الطراز الإسلامي، وأكثرها رجالًا وخيلًا[١]، ملكها من العسكر نحو أربعين ألف فارس[٢]، أرضها كثيرة الرمل وشديدة الحرارة[٣]، ومنها تجلب الخدام[٤]، وأهلها لا دين لهم[٥]، وتعدّ هدية من أهم مراكز تجارة الرقيق، وكانت تجارة رائجة، وقد ظلت تلك التجارة مزدهرة في هدية[٦]، وقد جلب لمصر هؤلاء الرقيق، وكانوا يعرفون باسم الطواشية[٧]، وذكرهم المقريزي وقال: "... وإليها يجلب الخصيان الخدام الذين يعرفون باسم الطواشية"[٨]، وكان السلاطين والأمراء يفضلون هؤلاء العبيد للخدمة في بيوت الحريم فيما سمي بوظيفة ذمام الدار، التي تولاها عدد من الأحباش[٩].

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٣/٥.

(٢) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٤؛ وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٧٧/٤.

(٣) ابن ناصر الدِّين، عبدالله بن الحسين بن الحسين بن مرعي البغدادي (ت١١٧٤هـ/١٧٦٠م)، النفحة المسكية في الرحلة المكية، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ٢٠٠٣م)، ص٣٠٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٣/٥.

(٥) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٤؛ وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٧٧/٤.

(٦) عابدين، عبدالمجيد، بين الحبشة والعرب، دار الفكر العربيّ، (القاهرة، ١٩٤٧م)، ص١٦١.

(٧) الطواشية: جمع طواشي، وهم الممالك الخصيان المعينون للخدمة في بيوت السلطان في أجنحة الحريم، ومن الطواشية أعيان تولوا أعلى المناصب في العصر المملوكي. ينظر: ابن طولون، نقد الطالب لزغل المناصب، تحقيق: مُحَمَّد أحمد دهمان ونزار أباظة، دار الفكر (بيروت، ١٩٩٢م)، ص٧٠.

(٨) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٨٤.

(٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ١٦٨/١٣.

ج. سلطنة شرحا:

بفتح الشين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وحاء، ثمَّ ألف، وهي مدينة تلي هدية، طولها ثلاثة أيام وعرضها أربعة، عساكرها ثلاثة آلاف فارس(١)، عرفت عند المقريزي (ت٨٤٥هـ) باسم شرخا، أهلها مسلمون على المذهب الحنفي(٢).

ح. سلطنة بالى:

بفتح الباء الموحدة، وألف، ثمَّ لام، وباء في الآخر، وهي مدينة تلي شرحا؛ ولكنها أكثر خصبًا، وأطيب سكانًا، وأبرد هواء، أهلها حنفية(٣)، طولها عشرون يومًا وعرضها ستة أيام(٤)، وهي أكثر بلاد الزيلع خصوبة، تختلف عن شقيقاتها الممالك الإسلامية في أَنَّ الحكم فيها لم يظل محفوظًا في أسرة معينة، بل حدث في القرن الثامن الهجريّ أَنْ انتقل الحكم إلى رجل ليس من بيوت الملك(٥)، الرجال فيها كثيرون؛ إذ يقارب عدد عسكرها ثمانية عشر فارس(٦).

ش. سلطنة داره:

بفتح الدال المهملة، وألف بعدها راء، ثمَّ هاء، وهي مدينة تلي بالي، طولها ثلاثة أيام وعرضها كذلك، وهي أسوء الممالك حالًا، واقلها خيرًا ورجالًا، وعسكرها لا يزيد عن ألفي فارس، أهلها مسلمون حنفية(٧).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٤/٥.

(٢) الإلمام، ص٨٤، وينظر: العمري، مسالك الأبصار، ٧٩/٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٤/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٣٩.

(٤) العمري، مسالك الأبصار، ٨١/٤.

(٥) طرخان، إبراهيم، الإسلام والممالك الإسلامية في الحبشة في العصور الوسطى، مجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، م٢، ١٩٥٩م، ص٣٩.

(٦) العمري، مسالك الأبصار، ٨١/٤.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣١٤/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام ص٨٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ٨١/٤.

٣. مدن أُخرى مشهورة:

أوّلًا: جزيرة دهلك:

بفتح الدال المهملة، وسكون الهاء، ثمَّ الهاء، ثمَّ لام مفتوحة، وكاف، وهي جزيرة في بحر القلزم، واقعة في الإقليم الأوّل من الأقاليم السبعة، طولها أحد وستون درجة والعرض أربع عشر درجة، وهي جزيرة مشهورة في بحر عيذاب إلى اليمن غرب مدينة حلي[١] في بلاد اليمن، وملكها من العرب المسلمين[٢]–، وجزيرة دهلك مجموعة الجزر في البحر الأحمر صغار، أكبرها جزيرة كمران، وهي مسكونة[٣]، بينها وبين الحبشة مسيرة نصف يوم في البحر، وكانت من عاداتهم إذا تعرضوا للهجوم من لدن الأحباش صعدوا جبلًا عاليًا وأوقدوا نارًا؛ فيخرج المسلمون لنجدتهم؛ وبسبب الصراعات التي حدثت داخل الدولة الإسلامية التي صاحبت وصول العباسيين إلى الحكم صارت تلك الجزر ملجأً للمناوئين للدولة العبّاسية[٤].

ثانيًا: مدينة عوان:

بفتح العين المهملة، والواو، والألف، ثمَّ النون، وهي مدينة على ساحل بحر القلزم، حيث الطول ثماني وسبعون درجة والعرض ثلاث عشرة درجة[٥]، وهي بلدة مشهورة، سكانها أحباش مسلمون[٦].

---

(١) حلي: بفتح الحاء المهملة، وكسر اللام وتخفيفها، تعرف باسم ابن يعقوب، وكان من سلاطين اليمن، ساكن بها وهي كبيرة حسنة العمارة، يسكنها طائفتين من العرب، وهم: جذام وبنو كنانة، طولها نحو مائتين ميل بينها وبين اليمن نحو ثلاثين ميلًا. ينظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ١٠١/٣.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٢٠/٥.

(٣) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٠٠.

(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٢٤٤.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٢٠/٥.

(٦) المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٩٩.

ثالثًا: مقديشو:

بفتح الميم، وسكون القاف، وكسر الدال المهملة، ثمَّ شين معجمة، وواو في الآخر، تقع بين الأقاليم الأوّل من الأقاليم السبعة وخط الاستواء، طولها اثنان وسبعون درجة وعرضها درجتان، وهي مدينة كبيرة بين بلاد الزنج والحبشة، وهي على البحر المحيط، ولها نهر عظيم شبيه بنيل مصر، وهو شقيق لنيل مصر، مخرجه من بحيرة كورا، ومصبه ببحر الهند بالقرب من مقديشو، أهلها مسلمون(١)، وليسوا بسودان، ولا ملك لهم إنَّما يدير أمورهم المتقدمين على الإصلاح لهم(٢)، يحمل منها: الصندل، والأبنوس، والعنبر، والعاج، إلى غيرها من البلاد(٣)، وهي بلاد متناهية الكبر(٤).

رابعًا: بلاد الزنج:

وهي بلاد شرقي خليج البربري على البحار التي تقابل الحبشة من البر الآخر(٥)، مسيرة شهرين، شمالها اليمن، وشرقها النوبة، وغربها الحبشة، وبلاد الزنج شديدة الحرارة جدًا، وسوادهم لاحتراقهم بالشمس، وهي بلاد قليلة المياه، قليلة الأشجار، وسقوف بيوتهم من عظام الحوت، وهم من أكلة لحوم البشر في الحروب، وأكثرهم عراة لا لباس لهم(٦)، قاعدتهم سفالة الزنج بالسين المهملة، والفاء، ثمَّ ألف، واللام، وهاء في الآخر، موقعها جنوب خط الاستواء؛ إذ الطول خمسون درجة والعرض في الجنوب درجتان، أهلها مسلمون، وأكثر معايشهم من الذهب والحديد، لبساهم جلود النمر والخيل، لا تعيش عندهم يقاتلون على البقر(٧).

---

(١) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٢٠/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٠٣.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ١٧٣/٥.

(٣) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٣.

(٤) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص٢٥٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٢١/٥.

(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٣.

(٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ٣٢١/٥؛ وينظر: المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٠١.